«ذكريات وأوهام»... دلالات مكانية متباينة تنزع نحو العروج إلى السلّم الفنّي!

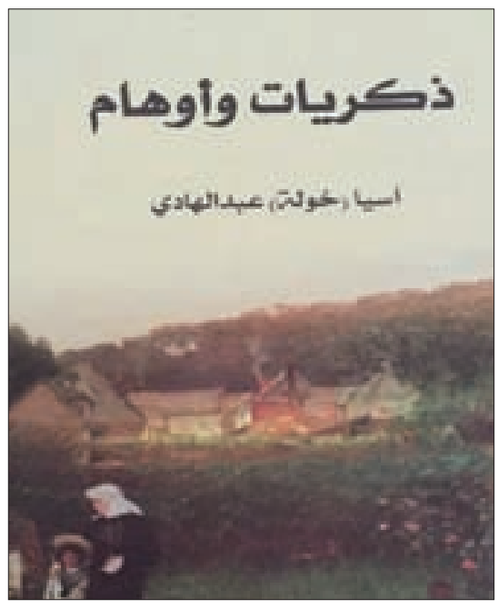

النمسا ـ طلال مرتضى

لعلّه اليتم، الفقد الأكثر قسوة، عندما تعشق، تشتاق، تحنّ، وتعلم أن من تودّ رؤيته قد يكون في الجوار، ولربما بينك وبينه ستارة واهية، ثم لا تجد وسيلة لإسدال هذه الستارة. كيف تدهمك السنين على حين غرّة وأنت لم تفِ دَيناً عظيماً لم يزل يثقل كاهل روحك؟ أليس من الغبن أن تَعيش غير عشق، لا يشبهه عشق آخر وتضيعه منك المصادفات؟

كل ما أنتم به الآن غيض من فيض، فيض الحبّ، الوفاء الذي لا يخبو عسيسه في الروح ولو غطاها رماد الوقت.

آسيا «خولة» عبد الهادي في مرويتها «ذكريات وأوهام» الصادرة عن «دار الأيام للطباعة والنشر والتوزيع» الأردنية عام 2016، تسلّط الضوء بانكشاف تام من خلال الحكاية التي اجترعتها حاملاً لعملها الجديد ـ والتي بدأت سردها خلفاً بفاعلية «فلاش باك» لتجلي عنها غباشة الاندثار ـ وهي قصة الغالبية من العائلات الفقيرة التي تهاجر من أجل تحسين أوضاعها، لتتشعب خيوطها وتفاصيلها الغاوية بفاعلية السرد المتهادي، في محاولة لمعادلة الوقت وافتعالات الحكاية. وهنا تبدأ الكاتبة بغمس بصمتها الخاصة والتي ينكرها كثيرون من الرواة، بحجة إن الحكاية محض مصادفة والشخوص افتراضيون ليس إلا. وعَوداً للمقارنة بين الروائية الفلسطينية الأصل التي هجرت قسراً إلى الأردن ليبقى مفتاح بيت جدّها معلقاً في ذاكرتها ما عاشت.

إنّ متتبع آلية السرد يتلمس عن كثب بأن الكاتبة لعبت على حساسية الأبطال وتعلّقهم بالمكان الذي يصبح جزءاً منهم في كلّ حالة انتقال. حالة الاندماج مع المكوّنات الجديدة. الحكاية بالمجمل قصة أرض أو مكان، المكان الفلسطيني عالق في الذاكرة، والبيت في الأردن هو جزء من الحياة، وبيت الغربة، ومكان العمل، كان ذلك دأبت الكاتبة على محاولة الصراخ به، لا شيء يعادل المكان، الفضاء الكينونة.

ولا أنفي كقارئ أن غواية الحكاية جعلتني ألهث للوصول إلى القفلة كي أرضي غرور ذائقتي القرائية، والتي أفجعتني عند الوصول، عندما طوت مرويتها برتابة، أي وكأنني كنت في حضرة فيلم هندي. حيث ينتهي إما بانتحار البطلين أو يتزوّجان، أو دعني أقول إن رِتمها أتى متهادياً مع قصص الجدّات لأحفادهن.

لست أدري إن أرادت الروائية تحميل مرويتها فنياً أم لا؟

وكي لا ألحد عليها حقوقها، كان لا بدّ من الإيغال في عمق النصّ لفكّ شفيراته المطلسمة والوقوف على أهمّ دوالّه، والتي كنت أقبض عليها، حيث تجلّت في اشتغالات الشخوص إينما تواجدوا، وحيث يتركون أثراً وبصمة. وهنا أستنجد بمقولة الروائية العربية نجاح إبراهيم: «لا نغالي حين نقول إن المكانية لا تتشكّل إلا من خلال الشخصيات الحاملة للأحداث، إذ تكشف عن عمق وقع المكان».

وبالتأكيد، هذا ما وددت قوله، عن تأثير الفرد بالمكان وبالعكس، وكيف يتم خلق ارتباط حسّي وروحي، من دون قطع الحبل السرّي بالمكان الوطن الأمّ. وهذا ما تشير إليه «السيميوطيقا» وأقصد علم العلامات، والتي تجاوزت دراساتها مادية المكان إلى دلالاته، بالتعريف بأنه: ليس فضاء فارغاً، بل هو مليء بالكائنات والأشياء التي هي جزء منه، وتضفي عليه أبعاداً خاصة من الدلالات. بالعودة إلى مقولة سيزا قاسم في القارئ والنصّ (العلامة والدلالة).

أسيا «خولة» عبد الهادي الروائية، عمدت في معمار محكيتها، المرصوف بمشهديات متداخلة، متواترة، حيث لا يستطع القارئ نسل أيّ لبنة من هذا المعمار، والذي لو أن الأمر قد حدث، سوف تنهار القصة الحامل، وهي من بدع تشكيلات السيناريو قبل تحوّل الهالة السردية إلى منطوقة.

«طيف بلا ظلّ» للشاعرة اللبنانية ليندا نصّار... ابتكارات المعنى بتمرّد

أحمد الشيخاوي*

نكاد نجزم ـ جمالياً ـ أنه من ضروب التبجّح والإجحاف اجتراح أيّما خندقة لهذا المنجز في حقول دلالية تقصّي البعد الرومنسي الشادي بالذاكرة الجمعية، إذ تعوّل على عجائبية المشهد في تشكيل فسيفساء تعبيرية يتمّ استلهامها من فضاءات تسعف تردّدات الذات عبر لا مركزية ثيمة الغياب.

إنها صيحة منسوبة إلى الشتات الذهنيّ وفعل الشرود المتناغم مع مناخات الاشتغال المطّرد على التوأمة ما بين ذات مثقلة بسلبيات الراهن، الوقف على تفريغها أو إعادة إنتاجها اتكاءً على قوالب تفرز حمولة بدائل مغرقة في الموجب المنصهر في طاقة التجاوز بمعزل عن الاجترار.

ومن جهة ثانية، بين زخم التوليفات لعوالم موازية أو محاكية لواقعية، غالباً ما تغيّب الحلم كفيلتر يمتصّ الأحاسيس ويُجَسّدن الإنفعالات المركّزة بهيمنة أنوية على الموضوعة، ما يولد ضَغطاً كلامياً يتحكّم بانتشار السياق في كلّيته ويخضعه لاتجاهات عرَضية تتبنّى قواميس استنطاق العدم على نحو ينمّ عن تخلّ مطلق عن الهياكل التي قد تبصم البوح الشعري من حيث استنبات الموقف الوجودي اعتماداً على خلفية معينة أو مخزون لا يتنفس الطقوس الطيفية ويؤشر على تجلّيات القرين:

ذبحت وفكري صبور صبور
وشئت صنعت لديه رهان
ورحت أحاكي ظلال الهموم
وأبصر فيه حياء الأوان
وجرحي تراه دليلاً يضيق
وثلّي تراه أسير المكان...
تأخّر الفجر ونحن عِطاش
تأخّر والعبور سريع
فتعال نطارد معاً سكرة العمر ونمشي
نمشي إلى أن يتلاشى التراب...
وفي صفحات الغياب
عنوان بلا عنوان،
وصرخة حمراء تمزّقت...
وبين المنفى والمنفى
نداء...

في ديوان «طيف بلا ظلّ» للشاعرة اللبنانية ليندا نصّار، والصادر عن «دار النهضة العربية» ـ بيروت، أسلوبية مكلومة لا تهادن الواقع بقدر ما تستفزّه فاضحة فيه التشوّهات كما تناطحه بعبثية مماطلة في المراوغة واستجلاباً لما يشبه الضمادات الذاتية والمعالجات الرمزية المستظلة بالبؤرة الإنسانية والملتفّة على النبض الكونيّ في بلورة الطرح إجمالاً، بالاستناد إلى قلب قواعد الفعل الإبداعيّ من فاعلية وتأثيرات وخلخلة للسائد وإليها، لدرجة يستسلم معها طرف التلقّي لغيبوبة إزاء ابتكارات ممكنة للذات، استرسالها في التمرّد ومؤجّجة لحمى تلمّس آفاق الخلاص عبر تناثر شذري يستحوذ على مجمل إيقاعات النصّ لتتحقق به انتهاء درامية لوحة كلامية بديعة تنسج ألوانها حركية الحرف الهامس الأسرع من سلطة الوعي:

شقي أنت أيها المطر
ما زلت أسيرة صومعتك
متى تعود

فأغتسل من رماد التعب
وأستسلم معك
لعقارب يتيمة...
فأجتاز عريي
وأرمي التهم
وما بين غبار الظلام
أسرج قنديلي
فترتعش صناديق الضياء
تشظّت بقايانا
قتلنا، دفنّا
وما بين لحظات الاندثار
وقعنا في اللاخيار...
خفّ العناق تناهت الرموز
وعند مذبح عينيك
ودّعت القصة الأخيرة...
بين انعتاق الشهوة
وتملّك الصمت
ذاكرة جلادها أعمى
والبوح ذليلاً صار
آن له الوصول
يُنزل أحمال الشبهات
يدوس بقاياها
عند عتبات اللقاء ويستكين...
هذه الأوتار تضرب
فتتألم بصمت
هي تعرف أن ألمها

يولّد الألحان الجميلة...
وجهان أنا وأنت لقصيدة واحدة
آتي إليك
نصف شاعرة
يحرّكها اهتزاز ظلّ تكسّر
تجثو على ركبة
تمسك مرايا الانهيار
عند جنوح الأطياف
أمرّن انكساري
تستدرجني ذكريات
رمتني عند كفّ رياح عابرة
تخلع منّي القصيدة وننتهي...

يقدّم الديوان صياغة ميتافيزيقية ويفجّر قيماً هامشية رغم بعض الهفوات التي عرقلت تدفق الخطاب الفنّي، ورهّلت تسارع انتقالاته من مستوى الهذيانات وفقاً لإملاءات الحسّ النرجسيّ بغرض تصريفها إلى حالات إنسانية ضمن ما يفسح للرؤى الأكثر نضجاً تتيح لأسئلة الكينونة وتحفر عبوراً إلى العالمية في زمن طالته الارتجاجات مسمّمة جلّ مناحيه.

كما وأننا في خضمّ هذا الكمّ الحسّي، نتوسّم الأفضل وننتظر المزيد المقنع والمشجّع من لدن شاعرة واعدة تأبى إلا أن تغمس دلوها في النوعيّ العميق وتقول كلمتها موشومة بخصوصية الصوت وجلاله، لا سيما أنها تستدعي الغائب هاهنا باعثة إياه من ثنايا ذاكرة العزلة، ومجرية عليه منظومة إسقاطات إما تتوازى أو تتقاطع لتجعل من الذات الشاهد الشرعي على لحظة الانفصام والتيه والخواء.

* كاتب مغربي

باقة حروف إلى الشامخ شعراً... عصام العبد الله

■ **غادا فؤاد السمّان**

قصيدتي...
لا تملك أيّ حيوية هذا الصباح.
لا تلوي حتى على بقايا ابتسامة تلوّنها.
لا تكترث لزقزقة العصافير التي تغنّي لها على شرف الولائم اليومية.
قصيدتي... قلقة، حزينة، مُربَكَة حتى آخر السطر.

صديقها الطائش عصام العبد الله،
صديقها المشاكس، المشاغب، المحنّك، المُستفزّ، الذكيّ، اللمّاح، المخلص، المحبّ، الودود، اللدود أحياناً وعن سابق تصميم، الشاعر، والشاعر دائماً... في قبضة الجرّاحين.

قصيدتي تعرف عصام العبد الله جيداً، أو هكذا يُخيّل لها، لتشهد بإصرار، بل لتشهد بيقين على اقتضاب اللقاءات بينهما، والتي تقتصر عادة على مزاجها الأرعن الموغل في العزلة والعناد... تشهد أنّ عصام العبد الله كان أباها حين أنّبها ذات مساء كيف تأخّرت عن كأس الحليب والخلود للنوم وهي طفلة وحيدة عند

بوابة الليل... تشهد أنّ عصام العبد الله كان أخاها في مهبّ الأصدقاء المتبدّدين كالفقاعات.

أنّه كان صديقها، وصديق روحها وفكرها ولغتها، وهو العابث العفويّ الطليق بلغته الشيّقة وأفكاره الولود وعباراته الصاخبة على مدار جملته الشفهيّة والشعرية التي يعزّ نظيرها.

قصيدتي مثلي متوتّرة هذا الصباح، لا يكفي أن أطمئنها باتصال هاتفيّ يحدّثني فيه «ورد» أنه تمّ الإفراج عن عصام العبد الله من غرفة العمليات بكفالة «أم حازم». وها هي الآن تترصّد جولات المخدّر في اللاوعي وكلّ ما يمكن أن يصحب معه عبر خريطة الصحو. لم يكن يتّسع الهاتف لتفاصيل كثيرة، خصوصاً أن هواتف كثيرة تتزاحم للسؤال عنه. فهو الزعيم وأنصاره كثر. فقط كنت أريده أن يعلم وهو في عزّ غيبوبته، وفي صميم صحوه، وحين يتمدّد على سرير النقاهة، وحين يحتسي الشاي، وحين يبتلع حبّة الدواء، وحين يعود لإشعال لفافة التبغ، وحين يعتصم بحبل أفكاره ليكبّل به القاصي قبل الداني على طاولة المقهى، حين

يضحك، حين يسكت، حين يغضب، وحين يلعب... أريده أن يعلم جيداً أنه العصب الحيّ للمشهد الثقافي في بيروت، أنه الحرف الساخر والحرف الساحر على متن القصيدة والحوارات كافّة، أنه مأوى الكلمة الضائعة التي لن تلجأ لسواه، أنه الكثير من الإنسانية، والكثير من الحضور، والكثير من الصدق، في زمن شحّت فيه

حفنة الأوكسجين ونضبت كلّ آبار الودّ.

لهذا، باسمي وباسم قصيدتي وباسم بيروت وباسم كلّ فناجين القهوة التي تنتظره، وباسم كلّ الكراسي التي لن يملأها سواه كزعيم لا يليق بغيره اللقب ذاته، أرجوه أن ينتبه لنا لعصام جيداً، وأن يعيده إلى دائرة الكلام التي لا تكتمل إلّا بمفرداته هو شخصياً... أطال الله بعمرك.

عصام العبد الله، وأعطاك مدداً من القلوب التي تحبّك وتحترمك وتُكبِرك وتفتديك.

«أرمن دمشق»... كتاباً بحثياً للدكتور سركيس بورنوزسيان

محمد خالد الخضر

يستعرض كتاب «أرمن دمشق» لمؤلّفه الدكتور سركيس بورنوزسيان وجود الأرمن في سورية، ودورهم الحضاري، لا سيما في مدينتَي دمشق وحلب.

ويتحدّث الكاتب عن المجتمع الأرمني الدمشقي الذي اتّسم بمستوى معرفيّ واسع وانفتاح على الآخر، وتكلّم أبناؤه لغة الضاد بطلاقة إلى جانب انتشارهم في كل أحياء دمشق وضواحيها، ومخالطتهم مختلف المكوّنات من دون أن يميّزوا أنفسهم بنمط معيّن.

ويوضح الكاتب أن العلاقات بين أرمينيا وسورية بدأت منذ عهد الإمبراطور ديكران الثاني عام 55 قبل الميلاد. كما ضمّت جيوش زنوبيا ملكة تدمر فرقة مؤلفة من الجنود الأرمن، وكان ابنها حاكماً على جنوب أرمينيا. موضحاً أنه بحكم التداخل الجغرافي بين بلاد الشام وأرمينيا تطوّرت العلاقة بين الشعبين وأخذت بعداً آخر أكثر رسوخاً وصداقة.

ويتابع: إن العلاقة بين دمشق والأرمن توطّدت عام 652 ميلادياً، عندما زار أول حاكم أرمني مدينة دمشق وهو الأمير تيودور رشدوني، ووقّع معاهدة مع الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان بعد الانتصار المشترك الذي حققته القوات الأرمنية والعربية المتحالفة معها ضدّ إمبراطور بيزنطية هيروكوكيس.

وكانت سورية بحسب الكاتب محطة مهمة من محطّات «طريق الحرير»، وبحكم تعاطي الأرمن للتجارة، كان طموحهم الدائم الوصول إلى موانئ المتوسط لتوصيل تجارتهم وبلوغها الموانئ الأوروبية ومنها فينيسيا وفلورنسا، ما دفعهم للهجرة إلى المدن السورية وإقامة مراكز تجارية فيها.

كما عرج الكاتب على امتداد العلاقة إلى يومنا هذا حيث بدأت هجرات الأرمن إلى سورية منذ مطلع القرن العشرين بسبب ما عانوه من ويلات الحروب التي دارت في بلادهم، من دون أن يكونوا طرفاً فيها، إضافة إلى أن سورية كانت ممرّاً للحجّاج الأرمن باتجاه القدس.

ويشير المؤلف في كتابه إلى المخيمات التي بناها الأرمن في دمشق في منطقة الزبلطاني وغيرها، على إثر هجراتهم إليها. وإلى تعامل السوريين الراقي معهم بكلّ طوائفهم، وتفاعلهم مع الدمشقيين وبنائهم الكنائس في حي باب توما ودير الراهبات وكنيسة الأرمن الكاثوليك في جادة البكري.

ويلفت المؤلف في كتابه إلى أهمية الجمعيات الثقافية

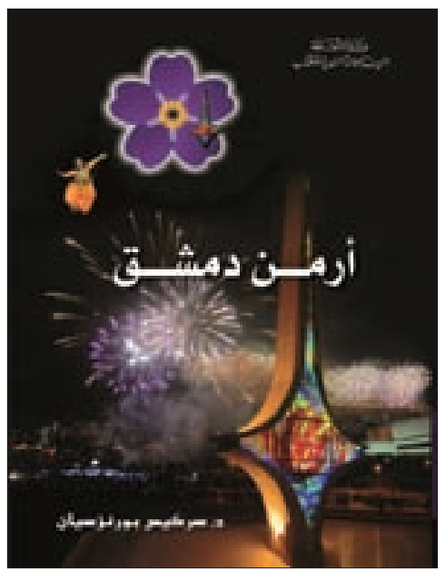

لأرمن دمشق منذ بداية العصر الحديث، ومساهماتهم في الأدب والترجمة والإعلان والموسيقى والحركة المسرحية والفنون التشكيلية، وسطوع أسماء لفنانين مهمّين مثل خاتشيك طوباليان وغيره، إضافة إلى المؤسسات الاجتماعية والتربوية والشبابية والخيرية والرياضية والكشفية لأرمن دمشق.

كما يورد الكتاب قراءة في حياة بعض الشخصيات الأرمنية المهمة ومدى أثرهم في الحياة الثقافية والاجتماعية والتجارية، وأسماء المراجع والكتب والصحف والدوريات التي اعتمد عليها.

ويشير الكاتب إلى أن زيارات رؤساء أرمينيا إلى سورية استمرت حتى يومنا هذا. ففي عام 1991 زار رئيس جمهورية أرمينيا ليفون تير بيتروسيان السوري المولد سورية، ثم تبعه الرئيس روبيرت كوتشاريان عام 2000، والرئيس الحالي سيرج ساركيسيان عام 2010.

ويعتبر الكتاب الصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب من أهم الكتب الوثائقية المنهجية التي رصدت أهمية العلاقة بين الأرمن والسوريين.

قصيدة النثر... استقرائية التغيّر وحداثويّة الخطاب المُرسَل

حامد عبد الحسَين حميدي*

تشكّل قصيدة النثر، مصطلحاً أدبياً معاصراً، يمثل القفزة النوعية التي مال إليها غالبية الشعراء المعاصرين، كنمطية للتغيير والانسجام مع ماهيات التطوّر الحاصل في تطويع المفردة والتركيب اللغويّ، بما يتلاءم والتعمق الباطني بطريقة تكثيف العبارة برمزية مطلقة من دون تحديد المسارات الشكلانية للبنية التي تتكون منها. فالانفلاتية من الشرنقة التقليدية للشعر العربي وما طرأ عليه من متغيّرات جذرية باتت تشكل عاملاً مهماً في قراءات نصّية جديدة، إذ إنها تعطي ـ للقارئ/ المتلقّي ـ وقفة تأملية لأجراء المسح التناسقي ما بين القصيدة التقليدية، وقصيدة التفعيلة، وقصيدة النثر. إذ إن بين مكوّناتها الثلاثة الأساسية ترابطاً روحياً، هذا الترابط متمثل في سبر أغوار الذاتية ومحاكاتها بطريقة وإن اختلفت في ما بينها، إلا أنها مداخلات مثلت الرصانة الأسلوبية والجزالة في تطويع المفردة الشعرية، فالعمق بين الدالّ والمدلول في ما بينهما شكّل جدلية لدى بعض النقاد والقرّاء. هذه الجدلية التي تحدّدت في الوزن والقافية، والتشطير بالالتزام بها أو نامت فيهِ الأوزان الشعرية وقوافي الشعر، من دون أن ننظر إلى البحث في تغيير الخطوط العريضة والمشتركة، ما جعل كتابات شعراء قصيدة النثر يمثلون الثقل الإبداعي المعاصر، إذ انضوت فيها حزمة أفكار غريبة أحياناً وبعضها يسير على وفق لا شعوري، محاكاة لما يجيش في الصدر، والعقل الباطني، وما يتراكم في المخيلة من تصورات تطابقية، فكانت نتاجاتهم عبارة عن انطلاقة جديدة ذات حمولات دلالية كبرى، وتعبوية متناسقة.

فالشاعر لديه تكاملية النص الأدبي، إبداع فنّي وبنيويّ، وأسلوبيّ، واختزالية تطويعية للمفردات والتراكيب، فقوالب الصياغة المعاصرة كتب لها النجاح، إذ إنها تميزت عن القديمة شكلاً ومضموناً، لتتيح للشعراء الولوج في آفاق رحبة، تنطلق لديهم رؤى خصبة، تداعب الأخيلة الشعرية، كتب لقصيدة النثر النجاح والظهور، لدواعي منها الترابط الدلالي للمفردات والتراكيب، ضمن المنحى المعاصر، والتعمق في الكشف عما يدور في ما وراء الذات، وعصرنة الاختزالية للقصيدة النثرية، فأصبحت المفردة والتركيب قوامها عالم تختفي وراءه عوالم خفية/ مستترة، لا يمكن رؤيتها بسهولة من دون الدخول إلى حقول التثقف في رؤية الباطن. فقصيدة النثر ما هي إلا انفلاتٌ حقيقي، من قيود الوزن والقافية، انفلاتٌ أتاح للشعراء المعاصرين، وضع معايير بنيوية متزامنة ومتطلبات لما هو مطروح، ليتمثل الإبداع في فتح مناخات مرحلية في حداثوية الإرهاصات التي أخذت حيزاً في الساحة الإبداعية،أما من ناحية الرابط بين مفردتي (قصيدة) و(النثر) إنما يمثل بطبيعة الحال التناقض والتضاد، أمام القارئ/المتلقي، لكننا نفهم أن القصيدة تتخذ قالباً بنائياً متراصّ القوام، بناءً هرمياً معروفاً بما يسمّى البيت والأبيات، ضمن نظام التناسبات الإتقانية (التشطير) أو عدم الالتزام بهذا النظام، مثلما رأينا عند شعراء قصيدة التفعيلة، الذين أسّسوا بحسب الرؤيوية المطروحة لديهم قوالب خاصة، في عدم الالتزام بنظام الشطرين وتنوّع القوافي، لكنها اكتسبت مشروعية حداثوية في نظر النقاد والقراء، بعد أن أثبتت جدارتها الإبداعية في الوقوف أمام التحديات، قبولاً ورفضاً. ومن

توقيع كتاب «عين الانتصار»

دعا رئيس بلدية برج البراجنة عاطف منصور، إلى حضور حفل توقيع كتاب:

«عين الانتصار... وقائع وأسرار مجهولة في إدارة الحرب الإعلامية خلال عدوان تموز 2006... المنار نموذجاً»

للزميل عبد الله شمس الدين رئيس التحرير في قناة «الميادين».

الزمان: يوم الثلاثاء 9 آب 2016 الساعة السادسة عصراً.

المكان: المركز الثقافي والاجتماعي لبلدية برج البراجنة ـ الرويس قرب ثانوية «حسين علي ناصر».

(الموقف مؤمّن).

* شاعر وناقد عراقي